# علاقة الوحي بالعقل

عثمان قره دنيز*

يفهم من علاقة العقل بالوحي الأمور التالية: ما موقف الوحي من العقل وما موقف العقل من الوحي؟ وهل يمكن للنصوص الدينية أن تتوافق مع العقل وتنسجم معه؟ أو هل من الجائز لنا أن نفصل بين الحقائق الدينية والحقائق الفلسفية؟ نودّ أولاً أن نتناول مفهومي الوحي والعقل من الناحية المبدئية قبل أن ندخل في موضوع مناقشة العلاقة بينهما.

من المعلوم أن للعقل تعاريف عديدة[1]، وإحداها تعرف العقل بأنه الجوهر المجرد الذي تدرك به حقائق الأشياء. إن هذا التعريف يفيد أنه قوة حكمية، وله جانب تجريبي أيضا. وعلى ما يبينه الراغب الأصفهاني الذي تناول معاني العقل التي وردت في القرآن: "العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة العقل، ولهذا قال أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ:

رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع ... إذا لم يكُ مطبوع
كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع[2]

والمقصود من العقل الأول هنا هو العقل الذي يوجد في الانسان بالطبع ويدرك العلل والمعلولات بين الحوادث. وهو قوة للإدراك وللتصور وللتفكر، فالإنسان كما يرى

---

* الأستاذ المساعد في كلية الإلهيات التابعة لجامعة التاسع من أيلول ـ أزمير، تركيا.

١ انظر أبو البقاء، **الكليات** (بيروت:١٩٩٣)، ص٦١٧ـ٦١٩، التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون** (كالكوتا: ١٨٥٤)، ١٠٢٦/٢، السيد الشريف الجرجاني، **التعريفات** (إستانبول:١٢٦٩)، ص٦١ـ٦٢، الراغب الأصفهاني، **المفردات** (بيروت:١٩٩٢)، ص٥٧٧ـ٥٧٨،
De Boer, T.J.Fazlurahman, *"al-Akl" Encyclopedie de L'Islam*, I, 353-354 (Leyde, 1960), Canki, M. Namik, Buyuk Felsefe Lugati, III, 23, (Istambul, 1958).

٢ الأصفهاني ، المصدر السابق، ص٥٧٧ـ٥٧٨.

دكارت (Descartes) "قوة لإصدار الأحكام الصحيحة وتمييز الصواب من الخطأ. وهذا ما يسمى بالعقل والطبع السليم (le bon sens). (Method, I)[٣] وبحسب ما يعرفه الفلاسفة المسلمون والغربيون على العموم هذا هو العقل النظري (العقل بالقوة) والعقل الثاني هو الذي يكتسبه الإنسان عن طريق الحواس والتجربة (العقل بالفعل). وهذا الأخير شائع بين الناس بالتجربة أيضا. ويسمى أرسطو (Aristotle) الأول بالعقل غير الفعال (Passive) والثاني بالعقل الفعال (active)[٤]. وعلى رأي لايبنتيز (Leibniz) فإنّ الأول هو العقل الصحيح والسليم الذي هو عبارة عن سلسلة الحقائق. "هذا العقل المحض الذي لا ينتج من التجربة له علاقة بالحقائق التي لا صلة لها بالحواس. ولكن له خاصية تتمثل في ايجاد العلاقة بين الحقائق التي يحصل عليها عن طريق التجربة. وأما العقل الفاسد فهو العقل الممزوج بالأحكام المسبقة والهوى"[٥] من هذه الناحية يقول كانت (Kant) إن جميع معلوماتنا تبدأ بالحواس (Sens) ومنها تنتقل إلى القوة المدركة (verstand) وتنتهي في العقل (vernunft)".[٦]

والوحي الذي هو موضوع بحثنا الآن ليس الوحي المجرد نفسه بل ما نقصده هنا هو الموحى به إلى رسول والمصطلح عليه بالخبر الصادق في الاصطلاحات الإسلامية. ويطلق عليه أيضا المسموع من الرسول والمنقول عنه. ومن هذه الجهة فإن كل الأديان السماوية تستند إلى النقل لوروده عن رسول.

إن مسألة الوحي والعقل مسألة مهمة في الديانة المسيحية واليهودية كما في الإسلام فإن الرسول ﷺ حينما أرسل معاذ بن جبل والياً إلى اليمن سأله كيف تقضي؟ فقال: أقضي بما في كتاب الله تعالى. قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي. أجاب سيدنا معاذ كما نرى بأنه يحكم بقوله ورأيه إذا لم يجد حكما في القرآن والسنة.[٧] وكذلك رسالة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى القاضي شريح الذي ولاّه قاضياً على

---

3 Cuvillier, *A:.Nouveau Vocabulaire Philosophique*, (Paris:1970), p.155, Benac, H: *Nouveau Vocabulaire de la Dissertation des Etudes Letteraires* (Paris:1972), p.165-166.

٤ انظر الكندي، **الرسائل الفلسفية**، "رسالة العقل"، تحقيق، عبد الرحمن بدوي (بنغازي:١٩٧٣)، ص١-٥.
Candi,B. Felsefe Lugati, III, 20-38, Gardet, Louis: *La Pensee Religieuse d'Avicenne* (Paris:1951), p.114-115. De Boer, T.J.(Islam'da Felsefe Tarihi): *Geschichte der philosophie im Islam*, Trad. Yasar Kutluay, p.72-73, 84-86, 137-138 (Ankara:1960).

5 Leibniz, G.W: *Essais de Theodicee* (Paris:1969), p.50,86. Cuvillier, *Vocabulaire*, p.155. Benac, Vocabulaire, p.165.

6 Kant, Emmanuel: *Critique de la Raison Pure*, p.294 (Paris:1927), Cuvillier, Vocabulaire, p.155.

٧ انظر أبو داود، الأقضية، ١١، الترمذي، الأحكام، ٣، النسائي، القضاة، ١١، ابن ماجة، المناسك، ٣٨، أحمد ابن حنبل، ١/٣٧، ٥/٢٣٠،٢٣٦.

الكوفة والذي بقي فيها مدةً طويلة وأخبره بأن عليه أن يفتي بحسب تعاليم الرسول نفسها حين يواجه مسألة ما.[٨] ومن ناحية أخرى فإن علماء الإسلام والذين تبعوهم قد ساروا على سيرة أسلافهم، وحاولوا أن يوضحوا الوحي حسب إمكاناتهم وظروفهم. وهذا أمر طبيعي، لأن النصوص محدودة وأما الأحداث فمتجددة ومتغيرة في حياة الفرد والمجتمع، وما لا يتناهى لا يمكن ضبطه بما يتناهى.

إن قبول الرسول جواب معاذ قائلاً الحمد لله الذي وفق رسولَ رسول الله، يشير إلى أن الوحي قد حمل العقل وظيفتين هامتين: الأولى بذله الجهود لفهم الوحي وتفسيره، والأخرى الاجتهاد فيما ليس فيه وحي.

وحينما واجه المسلمون أصحاب الديانات الأخرى، اضطروا إلى شرح أسس معتقداتهم وفق مبادئ العقل. ولم يكن من الأمور المقنعة عندهم أن يردّوا بالنصوص الدينية الصرفة على الأفكار المطروحة تحت أضواء المبادئ العقلية باعتبار المناهج. ولكن أصحاب النقل لم يقبلوا أصلاً هذا الموقف. لقد دامت المعارضة للمناهج الكلامية بين أهل الحديث وبالأخص بين علماء الحنابلة عبر العصور. وهكذا افترق المسلمون إلى فرقتين منذ البداية: إحدى هاتين الفرقتين هي أهل الرأي والقياس في العراق والأخرى أهل الحديث والنقل في الحجاز. وتسمى إحدى الفرقتين بأهل الرأي والأخرى بأهل النقل في مجال التفسير. لقد وصلت هذه المعارضة إلى حد اضطر أبو الحسن الأشعري إلى كتابة "رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام" في موضوع جواز استخدام مناهج علم الكلام. إن المعتزلة الذين امتازوا بأنهم أصحاب المذهب العقلي ـ ولربما لأول مرة ـ ادعوا توافق العقل والنقل، وفي حال تصور وقوع تعارض بينهما يمكن تأويل النقل على حسب مبادئ العقل. وقد سار فلاسفة الإسلام على هذه الطريقة وطوروها فيما بعد. وظل الفلاسفة المسلمون المشهورون كالكندي والفارابي وابن سينا يدافعون دائما عن هذا المنهج. وحين ضعفت شعلة الفلسفة في الأندلس بعد ابن رشد بقي ميدان الفلسفة والكلام مكشوفاً لبعض العلماء كفخر الدين الرازي. وهكذا شاعت نظرية "ترجيح العقل على النقل" بين علماء أهل السنة بازدياد الأهمية التي أعطاها المتكلم الفيلسوف والمفسر الكبير للتفكير العقلي.[٩]

---

٨ انظر للنماذج شاه ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة** (بيروت: بدون تاريخ)، ١/٤٩، وأبو إسحاق الشاطبي، **الموافقات**، تحقيق: م.م. عبد الحميد (القاهرة:١٩٦٩)، ٤/٦.

٩ أزميرلي، إسماعيل حقي، **التيارات الفلسفية في الإسلام** (إستانبول:١٩٣٣)، السنة:٦، العدد:٢٥، ص٥٨ـ٥٩.
Gardet, *La Pensée Religieuse d'Avicenne*, p.29-32.

إن الماتريدي المعاصر للإمام الأشعري يعتمد على العقل أكثر منه. نرى الماتريدي يسير على الخط نفسه مع المعتزلة في موضوع استعمال المبادئ العقلية. وعلى رأيه أن العقل سبب للعلم الذي نعتمد عليه اعتماداً كلياً أيضا. إن العقل ذو صلاحية تامة في معرفة الله، والبحث عن الحكمة والأسباب في أفعاله تعالى، وفي تقدير الحسن والقبح في الأشياء.[١٠] وأما عند الأشعري فإن هذه الأمور تعرف بالوحي فقط.

فالغزالي يقسم الآراء التي ظهرت في العالم الإسلامي في موضوع العقل والنقل إلى خمسة أقسام:[١١]

١. من اكتفى بالمنقول وقَنِع مما سَبَق إلى فهمه من ظاهر المسموع.
٢. من ترك المنقول جملة وتمسّك بالمعقول.
٣. من جعل المعقول أصلاً والمنقول تابعاً.
٤. من جعل المنقول أصلا والمعقول تابعاً.
٥. الفرقة المتوسطة الجامعة بين المعقول والمنقول.

وهو يرجح الأخير على غيره بعد أن يوضح مبادئ هذه الفرقة ثم يقول: "ومن كذب العقل فقد كذب الشرع إذ بالعقل عرف صدق الشرع؛ ولولا صدق دليل العقل لما عرفنا الفرق بين النبي والمتنبي، والصادق والكاذب، وكيف يكذب العقل بالشرع، وما ثبت الشرع إلا بالعقل".[١٢]

وعلى رأي فخر الدين الرازي فإن الدليل النقلي لا يمكن أن يفيد العلم. لأن الأدلة النقلية كلها تعتمد على صدق الرسول، فطالما بقيت معرفة صدق الرسول مرتبطة بمعرفة الرسول نفسه لا يمكن إثبات هذه بالأدلة النقلية. وإلا يلزم الدور (والتسلسل).[١٣] ويعني هذا أن شخصا (x) يقول الصدق، لأنه صادق، وأن (x) صادق لأن يقول الصدق. وهذا تناقض واضح.

ويرى ابن رشد أن الوحي سبب من أسباب العلم كالعقل. وأن الفلسفة أخت الشريعة. والحق لا يعارض الحق. لأنهما يصدران من المنبع الإلهي نفسه. فإن الحق (العقل) لا يخالف الحق الآخر (الدين)؛ بل يوافقه ويلائمه ويؤيده؛ ومقصد كل واحد

---

١٠ انظر أبو منصور الماتريدي، **كتاب التوحيد**، تحقيق: فتح الله الحليف (بالأوفست، استانبول: ١٩٧٩)، ص٩-١١.
١١ أبو حامد الغزالي، "القانون الكلي في التأويل"، **في مجموعة رسائل الإمام الغزالي** (بيروت:١٩٨٨)، ص١٢٣-١٢٦.
١٢ الغزالي، المصدر السابق، ص١٢٦.
١٣ انظر فخر الدين الرازي، **المَحصَّل** ومعه **تلخيص المَحصَّل** للطوسي (القاهرة:بدون تاريخ)، ص٥١.

منهما البحث عن الحقيقة وتوفير السعادة، لأن العلم الذي يأتي عن طريق الوحي يتمم العلوم التي يتوصل إليها بالعقل. والوحي يأتي بالتوضيحات في النقاط التي تربو على النقل. ومن هذه الجهة فإننا نحتاج إلى الوحي دون شك لجعل الحقائق الأزلية قائمة على أسس الوحي وحقائق العقل التي جاءت بها الفلسفة.[١٤] ومعنى هذا: "أن الفيلسوف له المقام العزيز، والفلسفة لا تخدم الدين فقط ولكن تخدم الإيمان أيضاً (ancilla fidei)".[١٥]

وعند ابن رشد فإن الحقائق الدينية لم تبين بلغة واضحة بحيث يفهمها عامة الناس دون أدنى صعوبة. فهذا هو ظاهر الدين وللدين باطنه أيضا. فإن فهم باطن الدين يمكن للراسخين في العلم كما ورد في الآية الكريمة.[١٦] ولهذا فإن خالف ظاهر الدين نتيجةً تم الوصول إليها بالبراهين العقلية فظاهر الدين يؤول تأويلاً يطابق أسس التأويل. أجمع المسلمون على أن لا تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها وكذلك لا يجوز أن تخرج كلها عن ظاهرها بقوانين التأويل.

إن الفيلسوف لايبنز وهو على حق لا يتبنى فكرة تعارض الإيمان والعقل، وهكذا يخالف رأي السيد بايله (Bayle) الذي تناول العقل والإيمان في كتابه (Dictionnaire Historique et Critique) ويقول: "فإنه يجعل العقل يتكلم كثيرا ثم يريد أن يرغمه على السكوت ويسمى هذا الجدل انتصار الإيمان على العقل"[١٧] ويبين لايبنز هذا التناقض قائلا: "فبما أن العقل هبة من الله تعالى كالإيمان فالقول بوجود تعارض بينهما هو القول بأن الله يعارض نفسه وأنه إذا لم يؤت بجواب للاعتراضات التي يأتي بها العقل لإحدى الحقائق الإيمانية فعلينا أن نتقبل هذه الحقيقة وهي ما يسمى بالحقيقة الإيمانية خطأ، وأنها لم تأت من قبل الله تعالى".[١٨]

إن العقل يشكل روح المسائل الإسلامية وأننا نكاد نحس به في كل القضايا. وله أهمية كبرى في تقييم الأدلة النقلية في جميع المواضيع الدينية، وبخاصة في المسائل الاعتقادية التي يجب محاكمتها من قبل العقل، لأنها تخاطب العقل مباشرة. فالإنسان يقيس المعلومات الدينية التي تأتي إليه عن طريق الوحي بعقله ويحتكم فيها إلى العقل

---

١٤ انظر: أزميرلي، المصدر السابق، ص٣٤-٣٥. Gardet, *La Pensée Religieuse d'Avicenne*, p.31. قد ألف ابن رشد كتابه: **فصل المقال** لغرض تأليف الفلسفة مع الدين وكذلك كتاب **الكشف عن مناهج الأدلة** لإيضاح أن الفلسفة تخص الأشخاص الموهوبين من الولادة.

15 Brees Gerd "Que'est-ce que la Philosophie?", *Essais sur l'Homme*, p.59, (Bruxelles, non date).

١٦ انظر: أزميرلي، المصدر السابق، ص٢٧، ٣٥-٣٦.

17 Leibniz, *Theodicee*, p.39.

18 Leibniz, *Theodicee*, p.74.

فيما إذا كانت هذه المعلومات تناقض العقل أم لا، وفي النهاية فإن العقل بعد محاكمة دقيقة لهذه المعلومات عليه أن يؤمن بإمكانيتها. ولهذا فإن المبادئ التي لها علاقة بالموضوع يجب أن تفسر تفسيرا عقليا. لأن الدين الفطري لا ينبغي أن يعارض الحقائق العلمية التجريبية كما أنه لا يخالف المبادئ العقلية. إن وظيفة الوحي هي تأمين الوسط الحر لإصدار العقل لأحكامه المؤيدة له. وهكذا يؤيد الوحي العقل المحض قائلا: الحق ما أيده العقل والباطل ما رآه العقل باطلاً. لأنهما إنعام من الله ويتمم كل واحد منهما الآخر. لقد أنزل القرآن لكي يتعقل الناس آياته ويستلهموا من حكمه. فهل من الممكن أن نستفيد من الوحي دون التفهم والتفكر؟ فالقرآن يقول: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام:٦٥) ويشجع النظر ويدعو الناس إلى التفكير والتدبر في الآفاق وفي آيات الله وبخاصة يطلب منا أن نقرأ كتاب الكون والموجودات. وهذه النقطة تشير إلى ضرورة أن نهتم بالعلوم الطبيعية والبشرية. لذا يهتم الإسلام اهتماما كبيرا بالعقل والعلوم التجريبية. وبالرغم من هذه الأوامر والوصايا فإن روح البحث وأسباب الحوادث في الكائنات قد أهملت وفقدت من حياة المسلمين اليوم.

إن في الإسلام آيات وأحاديث كثيرة تشير إلى أهمية العلم والعقل. وكما أن القرآن يعلمنا ويخبرنا بأن علينا أن نستند إلى الآيات الكونية والتشريعية فإنّ الإيمان الحقيقي إنما يمكن بهذه الطريقة العلمية: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ (العنكبوت:٥١). ولأن القرآن معجزة عقلية بسبب خطابه العقل، فإن علماء الإسلام يقولون بأن القرآن يدل على تبليغ النبي رسالته بنفسه. وأما المعجزات المادية (الكونية) فتعلقها بتبليغات النبي ليس مباشرة بل إنما هي بطريق غير مباشر. فخوارق العادات لها علاقة مطلقة ومباشرة بـ "صدق من ادعى النبوة".

كذلك فإن خوارق العادات التي وردت في الأناجيل تشير بوضوح تام إلى أنّ لها صلة وثيقة بوظيفة عيسى عليه السلام وبتعاليمه الدينية.[١٩] ودليلها هاتان الآيتان: (فقال له يسوع لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب)[٢٠] "هذه بداءة الآيات فعلها يسوع في

---

١٩ انظر مثلا، متى:٤/٢٣-٢٤، ٩/١-٨، ١٦/١٠-١٣، مرقس: ١٦/٢٠، لوقا: ٧/٢٠-٢٢، يوحنا: ٢/١١، ٤/٤٨، أعمال الرسل: ٢/٤٣، ٥/١٢-١٤، ٦/٧، ٨/٧-١٣، ١٤/٣، ١٩/١١. انظر أيضاً في دور المعجزة
Desgranges, Abbe, *Vingt ans de conferences Contradictoires - Les Raisons de la foi* (Limoges:1922), p.90-97.

٢٠ يوحنا: ٤/٤٨.

قانا بالجليل وأظهر مجده فآمن به تلامذه".[٢١] وهكذا نرى أنّ المعجزات (خوارق العادات ـ الأمور العجيبة) جاءت لغرض إثبات حقائق الإرشاد والنصائح للديانة المسيحية، وكذلك فالخوارق والمعجزات التي ظهرت من قبلُ على أيدي الرسل قد قصد بها الغاية نفسها.[٢٢] ويقول السيد دسكرانكس (Desgranges) "ألا ترون أنهم في ضوء معجزة البعث (Resurrection) التي لا ريب فيها قد آمنوا بعيسى واستثمروا كل ما في أيديهم لأمنهم عقليا. وهذا هو دور المعجزة في نظامنا الكاثوليكي وتاريخنا. إن المعجزة حلقة قوية تربط عقل المؤمن بالوحي الإلهي."[٢٣] كما أن إنجيل مرقص وهو أول وأقدم إنجيل بالاتفاق يحتوي على ٢٠٩ آية من مجموع ٦٦١ آية لها ارتباط قوي بالمعجزات سواء بطريق مباشر أو غير مباشر.[٢٤] من الضروري الإيمان بها سواء أكانت ضمن دائرة العقل أم خارجه. رأينا كثيرا من العلماء والفلاسفة في أوروبا قد خاضوا معارك فكرية وجادلوا جدالاً مُراً مع الكنائس واضطهدوا وعذبوا. نجد ذلك في الجدال المرير بين العلم والدين من خلال قراءتنا لكتب أولئك الأفذاذ من العلماء جليا. مما نتمنى معه أن هذه الأمور لن تحدث بعد اليوم في أي بقعة من العالم!..

الآن نرى من المفيد أن نتناول دراسة المفاهيم التي تعلو على العقل "فوق العقل". وكيف يمكن لنا أن نقرر الأساس الذي يعتمد على الوحي في الحقيقة بأنه يعلو على العقل أو هو من غير المعقول؟ لا شك أن هناك فرقا بين ما هو مخالف للعقل وبين ما هو مخالف للحوادث الطبيعية. فمثلاً نستطيع أن نتصور إنسانا ذا جناحين؛ إن هذا التصور ليس محالاً عقليا، ولكن لم تحدث حادثة كهذه. فهذا أمر خارق للعادة. ولكنه ليس أمرا غير ممكن. لأن الأشياء غير المعقولة لا تحدث في الطبيعة قطعا. ولهذا السبب فرق بين "الإمكان العقلي" و"الإمكان الطبيعي". لقد درس العلماء هذا الموضوع مفصلا في التفكير الإسلامي. إن لايبنيتز قد تناول هذه النقاط في قسم "البحث في ملاءمة العقل بالإيمان" من كتابه (Essais de Theodicee) ويقول: "إن علماء الدين يرون فرقا بين ما هو فوق العقل وما

---

٢١ يوحنا: ٢/١١.

22 *Dictionnaire de Theologie Catholique*, par A.Valant - E. Mangenot, et E.Amann, (Paris:1929), X/2, 1801, *Dictionnaire Pratique Des Connaissances Religieuses*, par J. Bricout, (Paris:1926) IV, 27-29, A *Complete Concordance To The Old And New Testament*, With A Memoir, By Willia Yonngman, (London And New York:1769) p.315, Pascal, Blaise, Pensees, (Paris: 1958) p.278, 343.

23 Desgranges, Ibid, p.96-97. قارن المصدر السابق (L'enseignement de la Bible), p.166-173.

٢٤ انظر للتفاصيل عثمان قره دنيز، **مسألة المعجزة**، ص١٢٣-١٣٩، (رسالة دكتوراه غير مطبوعة، معهد العلوم الاجتماعية بجامعة التاسع من أيلول، أزمير، ١٩٨٤).

Hunter, Allan M: *The Work And Words of Jesus*, (London:1956), p.54.

هو مخالف للعقل، وعند هؤلاء ما لا يمكن بيانه وشرحه يعتبر فوق العقل، ومقابل هذا يعتبر مخالفا للعقل كل رأي ثبت بطلانه بأدلة قطعية وأن تناقضه قطعي بأدلة ثابتة. إذاً فأولئك العلماء يعترفون بأن الأسرار تعلو على العقل، ولا يقبلون كونها مخالفا للعقل أبداً"[٢٥] إن لايبنيز يوافق على هذا التفريق ويدعي بإمكان إظهار بعض الأسرار الدينية: "وما هو مخالف للعقل هو مخالف أيضا للحقائق الضرورية والقطعية مطلقا، والذي يعلو على العقل يخالف الأمور التي نعرفها ونفهمها في جميع الأوقات بالطرق التجريبية فقط"[٢٦]

نريد أن نتناول هنا مفاهيم "النصوص العقائدية" وندرسها. فإن الفلاسفة المعاصرين عامة يكاد يتفقون على أن الأسس الإيمانية كلها نصوص عقائدية دون أن يروا فرقا بين دين وآخر ودون النظر إلى خصائص الأسس الدينية. كما هو معلوم أن "Gr.dogma" dogme" هو المعتقد، وأما "dogmatique" فإنّها تخص العقيدة أو المعتقدات كلها، وبتعبير آخر معنى النصوص الدينية وما يتعلق بالعقائد ومعنى النصوص الفلسفية وما يصدق المبادئ.[٢٧] إن من وجهة نظر الإسلام الذي يولى اهتماما كبيرا للعقل والتفكر لا يمكن تصور شيء ما ضمن إطار الأسس الإيمانية لا يقبل التفسير والتبيين والنقاش وما يرفضه العقل في النتيجة. فلا يمكن أن نلمس أو نرى ما لم يناقشه علماء الإسلام أو اضطروا لقبوله سواء كان معقولا أو غير معقول. ومن ناحية أخرى أن مثل هذا الإيمان يغاير روح الإسلام وتعاليمه. وقد أشار إليه العلامة إسماعيل حقي أزميرلي بقوله: "إن الدين لا يستغني عن العقل ولا العقل عن الدين. إنهما يتوافقان ويتلاءمان. العقل هو الأصل والدين تابع له"[٢٨] نرى هذا الاعتماد غير المتناهي على العقل في قول الفيلسوف دكارت (Descartes): "إن عقل المرء هو وحده الذي يعلمه هذه الأمور"[٢٩].

إن الوجود إذا كان مادياً (physique) فهو موضوع العلم التجريبي؛ وإذا كان المقصود بالوجود الماورائي (meta-physique) فهو موضوع الفلسفة. فالعقل لا يصل إلى ما وراء الحس والتجربة إلا بالخبر الصادق. والبحث في المسائل الأخرى المتعلقة بالدين

---

25 Leibniz, Ibid, p.85.

26 Leibniz, Ibid, p.65-66.

27 Cuvillier, Ibid, p.58, Benac, Ibid, p.53 (Paris:1972), Canki, Ibid, 628-631.

٢٨ أزميرلي، **الدين الإسلامي والدين الطبيعي**، (غير مطبوع، مكتبة سليمانية، قسم أزميرلي، رقم السجل: ٣٧٦١)، ص١٩-٢٢. وفي النية نشرها في القريب هذه الرسالة القيمة التي ألفها العلامة اسماعيل حقي أزميرلي ضد فكرة "الدين الطبيعي (La Religion Naturelle) وبخاصة خلال عصر الأفكار المطروحة من قبل بعض المفكرين الغربيين، كـ (F.Voltaire, J.J. Rousseau, A.De Lamartine, E.Renan, J.Simon.).

29 Descartes, R: *La Recherche de la Verite par la Lumiere Naturelle*, Oeuvres et Lettres, Texte Presentes par Andre Bricout (Paris: 1959) p.879.

تشكل مثالا حيا لهذه الأمور. فهذه الأمور خارجة عن نطاق وسائل علمنا. نرى الآيات تبحث عن الإيمان يقينا بالآخرة. ويريد القرآن منا أن نتفكر في الآفاق وأن نتعرف بعد التأمل في الكائنات. وفي هذا الموضوع نذكر الآيات التالية: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الروم: ٥٠) ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِ العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَلَ مَرَةٍ وَهُوَ بِكُلِ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٧-٧٩).

وبما أن الإسلام يولي اهتماماً كبير للعقل والتفكر وكذلك للبحوث العلمية لم يجعل من فقد عقله مسئولا. ولهذا لا يقبل التقليد الفكري والعلمي دون إعمال العقل. والدليل على هذه المسألة الآيات التالية: ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ كَبِيرٍ. وَقَالُوا لَوْ كُنَا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك: ٩-١٠).

لقد جاء الوحي إلى الناس الذين زودوا بوسائل العلم وفي مقدمة هذه الوسائل العقل. وكون الإنسان "حيوانا ناطقا" بتعبير الفلاسفة هو أول ميزة للإنسان. إذاً فواجب الإنسان أن يفكر في الحقائق الدينية والبحث عن طرق الاستفادة منها. وإلا كما أفاد العلامة المفسر محمد حمدي يازير التركي "لا ريب أن الذي يفهم الوحي هو العقل فقط وأنه إذا أسقط العقل والدراية من الحسبان فلا العقل باق ولا النقل".[٣٠] ومن ناحية أخرى يقول الكسيس كاريل: "الإنسان يحتاج إلى الإيمان بالله تعالى كما يحتاج إلى الماء والأوكسجين والنجاح في أمورنا الدنيوية مرتبط بلا شك بنمو كل من فعاليتنا الفيزيولوجية والذهنية والحسية والروحية... إذاً فعلينا أن نحب جمال الله تعالى وجمال العلم".[٣١]

لا شك أن علاقة العقل بالوحي ستظل مستمرة ما دامت الحياة مرتبطة بالظروف الطبيعية والحوادث الاجتماعية، لأن قابلية الإنسان وقواه محدودة وليست غير متناهية، وأنه لن يصل إلى الحقيقة المطلقة بأي وسيلة من وسائل العلم في وقت ما.

---

٣٠ محمد حمدي يازير (المفسر)، **حق ديني قرآن ديلي** (إستانبول: ١٩٣٥)، ٣/٢٢٣٩.

31 Carrel, Alexis, La priere, p.31-32 (Paris:1944).